كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية/ السداسي الخامس

مقياس: نقد مسرحي حديث ومعاصر

المحاضرة رقم 01 بعنوان:
"ما النقد المسرحي!"

- **ما النقد المسرحي!**

تمس كلمة النقد KRI NO بجذور الحضارة اليونانية، إذ أن النقد هو تقييم الأعمال الفنية والأدبية، وقد استعملت الكلمة في العصر الهيلليني، ثم عند الرومانسيين بعد ذلك، وانتشرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، حيث شاع استعمالها بفضل كتابات موليار بعنوان (نقد مدرسة النساء)، إلا أن تاريخيا ركز الأدب السنسكريتي وفلاسفة الصين على الجوانب الأدبية في النقد، وأحيانا قليلة مس نقدهم التشكيل الجمالي في الأدب.

ومن المعلوم، أن نقد في بدايته ارتبط بتطور الشعر، وإن أول نوع من أنواع الشعر الغنائي وهو الديثيرامبوس حيث اقتحم هذا الشعر مجال التجربة الدينية الممثلة في مهرجانات ديونيسوس فكان الشعر

هو الثغرة التي بدأ ينفذ منها الوليد الجديد تدريجيا، وبالتالي كان النقد الأدبي القديم في البداية شفويا ثم دون، وأقدم نصوص النقد الأدبي المعروف هي نصوص النقد الأدبي اليوناني القديم أو الإغريقي، وقد تمثل هذا النقد بداية في التعليقات الشفوية، ثم فيما كان يؤديه منشد أشعار 'هوميروس' من شرح وتعليق لدى إنشاده إياها. ولم يلبث هذا النَقد أن تطور، فتمثل في المسابقات التي كانت تنظمها حكومة أثينا في أعيادها الدينية، وخصوصا في مهرجان 'الإله ديونيسيوس' إله الخمرة، فقد كانت تعرض في هذا المهرجان مسرحيات، تنظر فيها لجان تحكيم تصدر أحكامها وفاقا لأسس نقدية، وتعطي جوائز للمسرحيات المتميزة، وكانت لجان التحكيم تتألف من مختصين في هذا الشأن، من شعراء وفلاسفة.

يمسك الناقد المسرحي بالأصول النقدية التي تعلمها، وإذ بها تختلط عليه فيمزج في البحث النقدي الواحد مذاهب ومناهج متعددة، كأنه يتمسك بأصول الدراما الحديثة (دراما القرن التاسع عشر أو دراما البرجوازية) وبأصول مسرح شكسبير وبالكلاسيكية الفرنسية، بينما ظل الناقد أسير الكتب النقدية ولم يدرك ما فعله الكتاب المسرحيون، الذي حاول كل واحد منهم أن يستخلص لنفسه أسلوبا خاصا به.

وبالتالي، يستطيع القارئ أن يلحظ أن المنطق الذي كان يتخذه أساس للنظر إلى المسرح بوصفه ظاهرة اجتماعية حضارية، يقوم على النظر إلى المسرح الاغريقي في علاقته بالميراث الأسطوري السابق عليه، بوصفه المثال الذي يحلل الناقد في ضوئه الشروط الاجتماعية والحضارية التي ينبثق المسرح في إطارها، بينما كان يراوح بين النظر إلى المسرح بوصفه ظاهرة جمالية ذات جذور اجتماعية حضارية بعينها، فكان يرده إلى الأصول الأسطورية والنظر إليه بوصفه نوعا أدبيا، وهذا ما دفعه إلى تناول بعض المقومات الإبداعية التي تتطلب الكتابة المسرحية تحققها في منظور الكاتب المسرحي وعلاقته بالحياة المحيطة به.

يرتبط النقد بالإبداع ارتباطا وجوديا، وإن بدا أنه تال للإبداع، فالنقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي، فالمبدع يدقق النظر قبل غيره في نصه المنتج، وقد يكون هذا التدقيق بعد كل خطوة أو بعد

الإنجاز، أو قد يكون تدقيقا مكررا قبل اذاعته بين الناس، ومتى ما اطمأن إلى ابداعه، يقدمه للمتلقي من غير أن يكشف أسراره، أو مراحل تكوينه، أو كيفية ولادة فكرته أو تجربته.

وكما يشترط في المبدع أن يكون لديه استعداد فطري (موهبة أو إلهام) واكتساب ثقافي معرفي، يشترط كذلك في الناقد أن يكون موهوبا، وذا اكتساب ثقافي واسع، إذ تقوم موهبته أساس على حسن الفهم، والتذوق، وقوة الملاحظة، ومعرفة الفروق الدقيقة بين أساليب التعبير المختلفة، وهدفه التفسير والتحليل والتقدير والتقويم والحكم الصائب، في حين يقوم اكتسابه على مؤهلات تتزايد عند الناقد، واتساع ميدان ممارسته من جانب، وتعقد النصوص الإبداعية، وتعدد الاتجاهات النقدية من جانب ثان.

1. مرجعية أرسطو في النقد الكلاسيكي الروماني:

كانت مرحلة تنازع بين التاريخ والنقد، أو إنها خصام طويل بين القدماء والمحدثين، وخصت بالقضايا الرئيسية التي عرفها تاريخ النقد فيما بعد، ظل الأمر هكذا حتى أن ظهر الشاعر 'هوراس'، فبأحكامه تبدأ مرحلة جديدة للنقد، وإذ يرى كثير من الباحثين أن 'هوراس' كان يحمل النزعة الأرسطية، وإن كان يرى أن اتباع الأدب اليوناني القديم أساس الإبداع، فإنه وفي الوقت نفسه يختلف عن أرسطو. بينما اتصف هذا النقد بـ:

_ كونه يتصف بمقارنات الفضائل والمساوئ وتسطيح المعاني والدلالات، والبساطة الشديدة في تفسير العروض المسرحية.

_ الاعتقاد بأن الأعمال الغابرة تمثل العصر الذهبي ويجب محاكاتها والاستفادة من أفكارها.

بينما تتأتى مرجعية أرسطو في النقد الكلاسيكي في:

- الاحتكام إلى القواعد أو المعايير كوحدات قياسية، فمثلا إن للأدب أنواع ولكل نوع مزاياه الخاصة به وحدوده التي يجب أن يقف عندها، ومنها وحدة الموضوع، وكلما تقدم الزمن ترسخت هذه القواعد وصارت مألوفة ومعروفة.

- إن الناقد الكلاسيكي لا ينظر إلى العمل الإبداعي حسب ما أحيط به من عوامل وظروف خارجية.

2. مرجعية النقد الكنسي المسيحي:

بقي الأمر على هذه الحال من البحث في البلاغة والنقد والتأثر بآراء 'أرسطو'، إلى أن انتشرت المسيحية في أوروبا، وسيطرت الكنيسة، ابتداء من سنة 313 م، فغدا النقد الأدبي نقدا كنسيا يحمل الطابع الكنسي، أي 'طابع إيديولوجي دينيّ'، ينطلق من التعاليم الدينية المسيحية في النظر إلى النصوص الأدبية، وفي توجيه الأدب، واستمرت هذه الحال إلى زمن ما عُرف ب 'عصر النهضة' في أوروبا، الذي ابتدأ بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453 م. وهجرة العلماء منها إلى أوروبا، وخصوصا إلى إيطاليا.

لا يمكن الحديث والوقوف عند من تلا الفيلسوف أرسطو في العصور القديمة من نقاد، كما نعبر فوق القرون الوسطى، بل وعصر النهضة، لنصل إلى العصور الحديثة التي تبدأ تقريبا من الثورة الفرنسية سنة 1798 وذلك لأن أرسطو بوضعه مبادئ وقواعد للنقد، كان في الواقع قد استنفد جوهر النقد، وما يمكن أن يدور حوله من معارك، بحسب تفاوت النظر، والأخذ بشرعية التقنني للنقد أو عدم شرعيته، لذلك يمكن القول بأن جميع من تلوا أرسطو حتى عصر الثورة الفرنسية ، قد كانوا في الواقع إما مؤيدين وإما مناهضي لأرسطو في اتجاهه وآرائه.

تقول الناقدة روز غريب عن النقد: 'أما النقد فتعبير عن شعور وفكرة وتجربة مستلهمة من الآثار الأدبية أو الفنية، فهو معادل لنقد النقد'.

وتكمن مهمة النقد (أكان أدبيا أو مسرحيا) في كونه يخدم أطراف العملية النقدية برمتها، وهذه الأطراف:

_القارئ (أو المتلقي).

_المبدع (أو المنشئ أو صاحب الأثر).

_الأثر الإبداعي (سواء أكان هذا الأثر شعرا أو نثرا).

بيد أن منطلقات النقد وأحكامه قد تطورت بمعزل عن بعض العلوم الإنسانية، وإلا لكان قد انطلق على الظن الذي يشكل تردد جوهره، إنما كان منطلقه مقرونا بعلوم إنسانية وأفكار أخرى أسهمت في زيادة أدواته، ووسعت من نظره وأحكمت إلى حد ما منطلقات الناقد النظرية ومؤهلاته الأدبية، حتى أن بعض النقاد المعاصرين يرى النقد علما من العلوم الإنسانية له صلة وثيقة بالعلوم الإنسانية الأخرى التي تدرس نشاط الانسان بوصفه انسانا، كالفلسفة بفروعها المختلفة، والتاريخ، وعلوم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس.. وهذه العلوم كما يراها الناقد قسيمة للعلوم التجريبية التي تدرس الانسان نفسه من جانب فيزيولوجي أو بيولوجي.

وإذا كان النقد قد ارتبط عند اليونان بالفلسفة حتى صار فرعا من فروعها في أقدم العصور، ثم ازداد هذا الارتباط وضوحا في عصور النقد الحديثة، فأصبح مرتبطا كل الارتباط بعلوم الجمال التي هي من فروع الفلسفة.

وعليه، تبلورت صيغة النقد كما يعرف اليوم انطلاقا من المعايير الجمالية التي وضعها المنظرون والعلماء في الأكاديميات فرنسا وإيطاليا في القرن التاسع عشر، واستمدوها من كتابات أرسطو وهوراس، فاعتبرت هذه المعايير مقاييس لجودة العمل وصلاحيته، ولقد شكلت فنون الشعر المختلفة التي ظهرت تباعا نظريات مستقلة في التأليف المسرحي، لأنها وضعت قواعد للكتابة على أساس تصور مسبق للعرض يحدد علاقته بالواقع وكيفية محاكاته لهذا الواقع وشروط متشابهة الحقيقة، والتأثير المطلوب من المسرح (التعليم أو التطهير أو المتعة)، نتيجة لذلك اتخذ النقد في البداية منحى تقييميا تعليميا وكان نقدا معياريا.

ظلت كتب فنون الشعر تشكل المرجع الرئيسي في دراسة جماليات المسرح حتى ظهور علم الجمال مع الألماني 'باومغارتن' في القرن التسع عشر، حيث تناول النقد موضوع المسرح من منظور أوسع، وأثر شمولية يتخطى القواعد المسرحية وشروط الكتابة إلى الطابع الجمالي والبعد الفلسفي (المأساوي، مضحك، غروتسك)، وبالتالي دخل على النقد بعدا آخرا وهو توصيف المادة وربطها بسياق أوسع، وقد أدى ذلك فيما بعد إلى توسع البحث ليشمل مجالات مسرحية تتخطى الأنواع المسرحية المعترف بها إلى الأشكال المسرحية، وأشكال الفرجة الشعبية التي أهملت طويلا.

وفي سياق مغاير واعتبارا من القرن التاسع عشر، كان لتطور العلوم الإنسانية وعلى الأخص التاريخ وعلم النفس، دوره في إدخال عناصر جديدة تحكمت بمنحى وتوجه النقد، فقد صار النقد يحاول أن يفسر العمل انطلاقا من التركيز على ربط المادة بسياقها التاريخي والاجتماعي والإنساني، أو عبر البحث في لاوعي الكاتب وعلاقة إنتاجه بالمكتوب لديه. أما في القرن العشرين ارتبط النقد النظري العام بمناهج البحث التي أفرزتها العلوم الإنسانية لدرجة أنه لم يعد يسمى نقدا بالمطلق، وإنما اكتسب تسميات خاصة ترتبط بالمنهج المعتمد في التحليل.

وإلى جانب هذه الضروب من النظريات والمعارف، طور النقد عددا من المناهج الخاصة به ومذهبها قياسا على المناهج العلمية في بعض الأحيان، مثل ذلك الاستقصاء في الأخبار عن الأشخاص وسيرهم، والكشف عن نواحي الغموض ودراسة العمل الرمزي والنقل في الآثار الأدبية، وبذل الجهد الدائم في قراءة النصوص والكشف المستفيض عنها عامة، هذه التقنيات النقدية الجديدة وهذه الاتجاهات في البحث، تعتمد في أكثر أحوالها على فرضيات أصبحت أساسية في الفكر الإنساني الحديث مميزة له، بينما يعود الفضل في هذه الفرضيات في المقام الأول، إلى أربعة علماء من مفكري القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وهم: تشارلز داروين وكارل ماركس وجيمس فريزر وسيغموند فرويد.

_ تشارلز داروين: جاءت فكرته مقتصرة بأن الإنسان جزء من النظام الطبيعي وأن الحضارة تطورية.

_ كارل ماركس: فهو يذهب إلى أن الأدب هو الذي يعكس ولو بطريقة معقدة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والإنتاجية لهذا العصر أو ذاك.

_ جميس فريزر: فهو صاحب أفكار عن السحر البدائي والأسطورة والشعيرة البدائية وأن هذه كلها تكمن في أساس أعلى والمواد الأدبية، بمعنى أن السحر كعلم، والدين يبنى على الاعتقاد.

_ سيغموند فرويد: فهو يرى أن الأدب مقنع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الأحلام وأن المقنعات تعمل حسب مبادئ معروفة.

من جانب آخر، ومع تطور الصحافة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، صار النقد عملية يختص بها الصحفيون والذي منح تفسير العمل وتقييمه، فتمثل دوره في بروز ناقد جديد هو الصحفي المتخصص، وفي توسيع مجال النقد بحيث صار يتوجه لشريحة أوسع من القراء، وبسبب تأثير النقد الصحفي على نجاح أو إخفاق في العمل المسرحي، ظهر تقليد دعوة الصحفيين المختصين لمشاهدة عرض خاص يسبق العرض الجماهيري، يطلق عليه بالعربية اسم البروفة جنرال LA générale .

ومع ظهور المجلات المختصة بالمسرح، ظهر الناقد المختص أو الباحث الذي يواكب الحركة المسرحية والمستجدات فيها، فيهتم بفتح الآفاق أمام تعميق البحث المسرحي، من بين المجلات المسرحية نذكر مجلة المسرح الشعبي théâtre populaire التي كانت تصدر في فرنسا وشارك في تحريرها نقاد أمثال: رولان بارث، برنار دورت. حيث أصبحت جميع الجرائد اليومية وعدد كبير من المجلات تكتب مقالات عن المسرحية المعروضة للنقد الدرامي. وعلى العكس في المسرحيات التي لاقت نقدا لاذعا من معظم النقاد، لاقت نجاحا باهرا بعد بداية صعبة في القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين، فكان الناقد يفحص بالتفصيل المعقد، وطبيعة الشخصيات والعاطفة كما يفحص التمثيل بدقة، والأمر يختلف اليوم ليس لأن أهلية وكفاءة الحكم والضمير الفني للنقاد قد قل، ولكن لأن المكان المخصص لهم بالجريدة قد حدد، وفضلا عن

ذلك فإن المسئولين عن المسرح يفضلون أن يرى الجمهور المسرحية الجديدة فورا، وهذه السرعة تمنح التقدير الأكثر تنسيقا والأكثر عمقا.

أما عن النقد المسرحي، فيعني فحص العمل الدرامي كنص مسرحي في المرة الأولى، ثم فحصه كعرض مسرحي المرة الثانية، في الفحص الأول للدراما يتطرق إلى مضمون الدرامي للمسرحية وتكويناتها الأدبية واللغوية والبناء الدراماتورجي لها، والنواقض التي لم يتوفر النص عليها.

والنقد في الفحص الثاني للعرض المسرحي، يذهب إلى معالجة التحقيق الفني للنص، من خلال وسائل العرض المسرحي، بتفسير وتحليل وجهة نظر الإخراج، ومدى تحققها في العرض، كما يشمل التمثيل عند الممثلين والإطار المادي من الديكور وإضاءة وخدع وموسيقى ومهمات مسرحية أخرى.

تأتي عملية النقد التي لا تنتهي بدراسة النص المكتوب وقراءته، ومن ثم استيعاب ما فيه من قيم فنية واجتماعية وتحليلها ودراستها، بل يضاف إلى ذلك نقد الإخراج والعرض المسرحي بعد إتمام أدائه على خشبة المسرح. وعليه، فالنقد المسرحي بحاجة إلى الإلمام بالكاتب واتجاهاته الفنية والفكرية، ودراسة العصر الذي كتب فيه المسرحية وما يسود هذا العصر من قيم وتيارات أدبية، وما يكون بين هذه التيارات من علاقات بالنواحي السياسية والاجتماعية والثقافية.

المكتبة البيبليوغرافية:

_التجريب في النقد والدراما: عبد الرحمان بن زيدان

_في النقد المسرحي: محمد غنيمي هلال

_المعجم المسرحي: ماري إلياس وحنان قصاب